



الحوار اللاهوتي الكنسي والصراع السياسي - ٢

دكتور

جورج حبيب بياوي

٢٠١٦

الحوار اللاهوتي الكنسي والصراع السياسي - ٢

من آن لآخر تنشر بعض المواقع على شبكة الإنترنت اتهاماً عاماً باسم "الاختراق البروتستانتى" لكي تنشر الفزع والخوف من الحراك الذي بدأ منذ أكثر من نصف قرن، وهو العودة إلى الآباء.

وما يجعلنا نضحك طويلاً، وضع اسم د. سامح موريس والأب سيرافيم البراموسي وعدد آخر من الأسماء بلغ ١٩ اسماً في صف واحد، وكأن هذا العدد من الناس صاروا بروتستانت مجرد أن حملة التشويش والتشويه أرادت ذلك.

هم يسخرون من شعب الكنيسة بشكل عام، وهي سخرية تشبه القصة الفكاهية عن حاكم جبار أراد أن يمنع الشعب من صنع وطبخ "الشعرية"، فقال إنها ثعابين، وصدّق ضعاف العقول ذلك، واختفت الشعرية من مجال البقالة، ولكن شحاذاً عضّه الجوع مرّ بمحل للبقالة يلقي بالشعرية مع مخلفات المحل باعتبارها ثعابين ميتة، وأمسك بها الشحاذ، ولم يجد للثعابين رؤوساً، وذاق واحدة، وبدأ يأكل الباقي دون طبخ، وصاحب البقالة يرقبه في خوف وفزع، ولما وجد أن الشحاذ لم يمّت، أدرك أن الدعاية كاذبة، ففتح مطعماً لا يقدم إلا الشعرية.

لماذا خدع الحاكم شعبه؟ لأنه لم يكن يحب الشعرية ..

أكتب هذه القصة الفكاهية؛ لأنه ولأول مرة في التاريخ المعاصر، ومنذ أن توقفت مجلة الكرمة التي كان يصدرها أب من آباء النهضة، هو الأرشيدياكون حبيب جرجس عن الصدور، وجاءت مجلة مدرسة الإسكندرية بدراسات دقيقة رصينة لاهوتية وتاريخية، جعلت الذين لا يحبون الدراسة والمعرفة يعاملونها كما تعامل الحاكم

المستبد مع الشعرية، ولكن فتح أبواب المعرفة والطعم الجديد للعلم والتاريخ واللاهوت هو الذي أبقى على قدس الأب متى المسكين الذي لم يتوقف عن العطاء حتى رقد في الرب.

غريب جداً أن يصدر ذلك الاتهام الذي يهدف إلى حشد الأتباع، وهو كما ذكرنا عدة مرات، ولا بأس من أن نعيد ما ذكرناه: هو اتهامٌ غير موثَّق بالدليل. بل ما إن نُشر ضد الأب سيرافيم، أو الأب أثناسيوس المقاري، لا يثير السخرية فقط، بل يقول لنا علانيةً إن سلسلة الاتهامات هذه، كتبها إنسان يحتاج إلى أن يذهب إلى مستشفى للأمراض العقلية، ومن يشك في مصداقية هذا الحكم، عليه أن يقرأ ما نُشر من اتهامات ويراجع الموضوعات التي نُشرت ليعرف جنون وتعسف من صاغ الاتهامات.

لا يمكن ان يتم حوار لاهوتي بين عقلاء ومجانين يخطفون العبارات من سياقها؛ لأن الكراهية والمرارة أدت إلى البحث عن أي اتهام مهما كانت صياغته دون مراعاة للأمانة.

ولماذا غابت الأمانة؟ لأن الكراهية لها سلاحٌ واحد، وهو القتل، وهي تدفع البشر إلى كل أشكال التطرف. ولكن زمان التجديد قد جاء، ولم يلحظه المكابرون، ففي كل عام نحتفل بذكرى قديسي الكنيسة، وسوف تبحث أجيال عن كتابات هؤلاء. وفي كل قداس نسمع أسماء الآباء الذين سلّموا لنا الإيمان، وكانت لهم شهادة حية، وصاروا معروفين أكثر من ذي قبل.

أذكر في بداية أزمة كتاب "تجسد الكلمة" في الكلية الإكليريكية أن أحد طلبة القسم المسائي قال إن هناك تحفظات على هذا الكتاب، فقلت له أرجو أن تصلي مدوَّنة وموثَّقة بمراجع تاريخية، فقال من أين أعرف أنه لأثناسيوس، فقلت ذكره جيروم في كتاب مشاهير الرجال. ولم يكن الطالب سمع عن جيروم، ولا عن كتابه مشاهير الرجال. كما أن جيروم قال إن "الرسالة إلى الوثنيين" و"تجسد الكلمة"، هما كتابٌ

واحد. ولدينا مخطوطات من القرون الأولى وجداول كتابات الآباء التي وصفها فوتيوس وغيره.

وصمت الطالب، ولكن بقى في المناهج فجوة، وهي انعدام تدريس التاريخ الكنسي. وما أكثر الفجوات في الثقافة الكنسية المعاصرة:

- فجوة تسليم الطقس بلا لاهوت. وأفضل مثال على ذلك هو انعدام الإشارة إلى وجودنا في حضرة الثالوث، وإلى أن الكاهن هو ربنا نفسه الذي أقام خداماً للمائدة السماوية، وأنا نشترك في جسد المسيح الحي القائم من بين الأموات والمتأله والذي تسميه الليتورجية: ذبيحة إلهية - سماوية - غير مائتة.

- وفجوة بين التعليم المعاصر والحياة الليتورجية؛ لأن كل ما يُقال عن الفداء والكفارة هو هدمٌ تام لما يُعطى ويُوهب في القداسات. فدفع الثمن وما إليه، يجعل تناول دم المسيح من حق الآب، لا هبة للشعب.

لقد جاءت الصحوة القبطية مثل فجر طال انتظاره، وأقول لكل مُكابِرٍ إن كنت تستطيع أن تمنع شروق الشمس، فأنت قادر أن توقف نور النهار، ولكن لا تحاول لأن الفشل محسوب مقدماً؛ لأن يقظة الشعوب هي حركة دائمة إلى الأمام ولا تراجع إلى الخلف.

يتبع.

د. جورج حبيب بياوي